خلق آدم عليه السلام

المقصد الأساسي

إن غاية ما أريد في موضوع خلق آدم عليه السلام: أن نتعلّم الخضوع والخشوع بين يدي الله ﷻ وأن نستشعر مدى ضعفنا وذلنا وفقرنا...

إنها علاقة وثيقة بين خلق آدم وصفة التواضع لله تبارك وتعالى، وسَنَعْلم أننا لا حول لنا ولا قوة... وأنا كنا عدماً كنا... لا شيء، وحينها سندرك معنى التواضع.

هذا هو صلب الموضوع: خلق آدم عليه السلام ربما لم يستشعر البعض ما أريد إيصاله، ولكني على ثقة بأنه سيحدث وفي القريب العاجل...

مراحل خلق آدم

نجد في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم من تراب فقال ﷻ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59]. وفي آية أخرى أن الله خلق آدم من طين، فقال ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: 71]. وفي آية ثالثة أن الله خلقه من طين لازب، فقال ﷻ: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾﴾ [الصافات: 11]. وفي آية رابعة أن الله سبحانه خلقه من صلصال من حمأ مسنون فقال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26]. وفي آية خامسة أن الله سبحانه خلقه من فخار فقال ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: 14] .

سبحان الله... يكاد العقل أن يتيه... إنه يتساءل: من أي الأشياء خُلق آدم؟

والإجابة عن هذا السؤال واضحة، فلقد خُلق آدم من كل ذلك؛ لأنّ كل ما سلف هو

مراحل خلق آدم عليه السلام، لقد مَرّ خَلْقُه بمراحل متعددة كلٌّ منها يُوصِل إلى الآخر حتى أكمل خَلْقَ آدم عليه السلام.

منها خلقناكم

إن مراحل خلق آدم عليه السلام ست، سنحاول عرضها جميعاً إن شاء الله سائلين إياه المدد والعون والتوفيق...

وقبل البدء علينا الانتباه، أنَّ لكل مرحلة منها رسالة، يريد الله منك أن تفهم معنى ومغزى هذه الرسالة.

فالمرحلة الأولى... هي مرحلة التراب، يقول النبي ﷺ: **«إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من تراب الأرض، أرسل الله تبارك وتعالى جبريل** عليه السلام فقال: **اقبض قبضة من كل تراب الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض»**[1].

لقد اختلفت صفات بني آدم... لأنهم جاؤوا من تربة متنوعة من كل الأرض، فجاء منهم الأحمر والأبيض والأسود، وجاء منهم السهل والحزين والخبيث والطيب.

انها مرحلة تضع أرجلنا على أعتاب التواضع... فلقد خلقنا من تراب... فلمَ التكبر؟!

صفاتك صفاتها!!

بدايتك يا ابن آدم كانت تراباً، فَكُوِّن من هذا التراب أشياء كثيرة، فلقد أَخَذْتَ منها اللون، فصار لونك هو اللون الأحمر أو الأسود أو القمحي، وكذلك أَخَذْتَ صفاتها: فهناك نوعٌ من الناس أَخذ صفاتِ الأرضِ الخصبة الطيبة، وهذا النوع من الناس تجده بمجرد معرفته بربه من خلال عبادة معينة أو كلمة طيبة يرتبط بخالقه سبحانه ويصبح متديناً في الحال وبشكل فطري، وهناك نوعٌ آخر أَخذ صفاتِ الأرض الخبيثة ويا لها من أرض... فتجده لا يتأثر مهما قُدِّم له الخير ومهما وُعِظ فيظل خبيثاً... وهناك مَنْ أَخَذ صفاته مِن أرض صعبة مليئة بالشوك...! فتجده غليظاً حاقداً لا يحب الخير أبداً، قلبه قاسٍ... جامد لا يرق.

---

(1) أخرجه **أبوداود** في (الحديث: 4693)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2955) بنحوه.

وهناك مَنْ أَخَذ صِفَاته مِن أرض سهلة منبسطة... فتجده شخصيةً سهلة يألف الناس ويألفونه يتقبَّل الموعظة ويأخذ بالنصيحة.

فليقف كل منا مع نفسه للحظات، وليكتشف ذاته، وليرى لأي تربة ينتسب...

وأي خصائص يحمل، ولنعلم جيداً أنه لا يعيب الإنسانَ أن يخطىء، ولكن العيب كل العيب ألا يتعلم من أخطائه.

استطعت يا تراب الأرض...!

أيها الإنسان... إن بدايتك تراب! فسبحان من جعل التراب يتكلم ويتحرك... سبحان من جعل التراب مخترعاً ومبتكراً.

يا لضعفك يا تراب الأرض... ألا تشعر بضعفك...!

كيف تجرؤ يا تراب الأرض أن تعصي مولاك... كيف تجرؤ يا تراب الأرض أن تتكبر...! ألا تشعر بأن عدم سجودك لله ﷻ تكبر...! كيف رضيت أن تخرج منك يا تراب الأرض؟!... أتقولين: أنا لا أقتنع بالحجاب!.

يقول الله ﷻ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس: 17 ـ 22] .

آه يا تراب الأرض...! ألا تدري أنك لا تملك من الأمر شيئاً؟

تواضع يا تراب الأرض... فإن أصلك حينما تواضع للأرض وقبل أن تطاه الأقدام استحق أن تسجد عليه الجباه... تواضع... فوالله ما أنت إلا تراب...

وتحول التراب ذهباً...

يقول النبي ﷺ مخاطباً السيدة عائشة: «**يا عائشة: لو شئت لسارت معي جبال الذهب**». فقالت: كيف يا رسول الله؟ «فقال: «**جاءني ملك من السماء إن حجزته (وسطه) كالكعبة، يقول لي: يا رسول الله، إن الله يقرئك السلام ويخبرك بأن تكون ملكاً نبياً أو عبداً**

نبياً»، فيقول النبي ﷺ: «فنظرت إلى جبريل فأشار إلى أن ضع نفسك يا محمد فاخترت أن أكون عبداً نبياً»[1].

اللهم اسقِنا من يده الشريفة شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبداً... اللهم أمين.

فرسولُ الله الذي كان يربط على بطنه الحجرين من شدة الجوع... إن رسول الله يعلمك الرضا بما قسم الله لك. إنه يعلمك التواضع: **«ضع نفسك يا محمد»**.

يا تراب الأرض، كُلّما تواضعت لله ﷻ، وأحسست بذلك أمام عظمة مولاك صرت ذهباً في معدنك وأخلاقياتك وتعاملاتك... يا تراب الأرض كلما كنت (تراباً) في الأرض كلما كنت (ذهباً)... وكل لبيب بالإشارة يفهم.

ترى ما سبب التسمية...؟

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: من تواضع لي هكذا، جعل النبي ﷺ يخفض بطن يده إلى الأرض، رفعته هكذا ـ وجعل النبي يرفع بطن يده إلى السماء.

يخفض بطن يده إلى الأرض (تراب)... يرفع بطن يده إلى السماء (ذهب) أما زالت الدهشة بعد...؟!

والآن تعالوا ننتقل إلى نقطة لطيفة وهي: لماذا سمي سيدنا آدم بهذا الاسم؟... لأنه من أديم الأرض من تراب الأرض.

قال ﷺ: **«كلكم لآدم، وآدم من تراب»**[2].

كانت هذه هي المرحلة الأولى لخَلْقِ آدم عليه السلام هيا لنخرج منها بوصية عملية.

ولتكن: الصلاة على وقتها، فبمجرد سماعنا «اللّه أكبر» فلتكن التلبية السريعة. وكيف لا وقد عرفنا أصلنا، ولن نتكبر بعد اليوم.

رمز الطهارة

وننتقل إلى المرحلة الثانية وهي: الطين. فلقد وضع الماء على التراب فصار طيناً، قال

---

(1) أخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 13390)، وأخرجه **أبو يعلى** في «مسنده» (الحديث: 4920).

(2) ذكره **الربيع** في «مسنده» (2/ 8).

الله ﷻ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١﴾ [ص: 71]. ههنا معنى لطيف، وهو: لماذا اختار ربنا تبارك وتعالى الماء بدلاً من أي عنصر آخر، كالحديد مثلاً؟

فهذا لأمرين... **الأمر الأول**: أن التواضع لله، **والثاني**: هو أمرٌ يحمل معنى في غاية الأهمية: فكلنا يعلم أن وظيفة الماء هي الطهارة، والأرض كما قال عنها النبي ﷺ: «**جعلت لي الأرض مسجداً والتراب طهوراً**»[1]. ونحن نعلم أنه عند عدم وجود الماء نتيمم بالتراب.

وسر هذا أن التراب والماء هما عنصرا الطهارة.

أيها الإنسان أصلك طاهر طيب نقي، خلقك الله سبحانه وتعالى من أطهر الأشياء، فإياك أن تدنس هذه الطهارة، إياك أن تطلق بصرك للقنوات الإباحية، إياك أن تدنس هذه الطهارة، بما يغضب الله ﷻ.

الحمد لله على نعمة الإسلام

ولنقارب هذا المعنى، معنى الطهارة بالمعاني التي تصورها بعض الحضارات الغربية، يقول: «إن الإنسان حشرة رديئة خبيثة تعيش في مزبلة الحياة».

وهذه هي رؤية المفكر العالمي للإنسان...!

أما الإسلام فيوضح أن الإنسان مخلوق طاهر خلقه الله من عنصري الطهارة (التراب والماء).

نداء أوجهه لكل شاب وفتاة... لكل رجل وامرأة: لا تؤذوا هذه الطهارة بأعمالكم وتصرفاتكم.

فالزاني يدنس الطهر الكائن فيه... إنه كمن يلقى بالقاذورات في الماء النقي فيفسده.

احرصوا على طهارتكم وحافظوا عليها... هكذا يكون المسلم، واعتزوا بدينكم الذي كرمكم وعرفكم قيمتكم فاحمدوا الله على ذلك، وانظروا الى غيركم كيف يصور نفسه «حشرة خبيثة».

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 1665).

طين لازب

ثم تأتي المرحلة الثالثة فيجتمع الطين ويتلاصق حتى يصبح متماسكاً سميكاً، قال ﷻ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات: 11] أي طين متلاصق متماسك فيسهل تشكله.

وهنا لمحة تربوية نستشف منها المعنى، فالطين أصبح متماسكاً ليس رخواً، وكأن المعنى يقول: أيها الإنسان إن من تركيبك قوة وتماسكاً، فكن قوي الإرادة... قوي العزيمة... أَرِ الله من نفسك قوة في طاعته.

أخي الحبيب... لا تَنْسَ مقصدنا الأساسي... التواضع فوالله انك ضعيف... فقير الى الله... تراب ثم طين ثم طين لازب... والآن أنت تتكلم.

أتشعر بهذه النعمة الآن ونحن في هذه المرحلة أم لا...؟ إن هذه المرحلة لا كلام فيها ولا حركة ولا أي شيء أنت ما زلت تخلق... أنت عدم.

هذه قيمتك عند ربك...!

ثم تأتي المرحلة الرابعة: حيث خلقه الله بيديه الكريمتين فأصبح كالصلصال؟ قال ﷻ: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾ [ص: 75].

وهنا لا نشبه ولا نؤول ولا نحسد ولكن نقول: ليس كمثله شيءٌ.

أيها الإنسان... انظر لمنزلتك عند الله... لقد خلقك بيديه الكريمتين وفضَّلك بهذا التفصيل.

أبعد ذلك تعصيه...؟ أنت غالٍ عند الله بهذا التكريم، يقول النبي ﷺ: «**ثلاث خلقهن الله بيديه ولم يخلق شيء بيديه إلا الثلاثة: آدم، وجنة عدن، والألواح التي كتبها الله سبحانه وتعالى لموسى**». أما قصة المخلوقات فقد خلقت بكن فيكون.

أما يؤثر فيك هذا التفضيل؟ مالي أراك صامتاً؟... أتراجع نفسك؟... انها وقفة طيبة... هذه قيمتنا عند الله، فلماذا نرخص أنفسنا ونقع في أوحال المعاصي والشهوات؟

تبت إليك يا رب...

يقول الله ﷻ في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم خلقتك بيدي وربيت بنعمتي وأنت تخالفني وتعصاني فإن رجعت إليّ تبت عليك، فمن أين تجد لك رباً مثلي، وأنا الغفور الرحيم**».

يا رب اني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي... يا رب.

كثرت ذنوبي، وعظمت مصيبتي، وقَلَّت حيلتي، فتب علي واغفر لي وارحمني يا رب.

حما مسنون

وفي المرحلة الخامسة تُرِك الصلصال حتى يجف فتغير لونه فصار كالحمأ المسنون ـ الصلصال الذي تغير لونه فأصبح مائلاً للسواد ـ لقول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الحجر: 26].

تفكر في هذه الجملة «تُرِكَت حتى تجف». انظر لمدى ضعفك!... هل شعرت بذلك في جميع المراحل السابقة؟

إنك ضعيف

وفي المرحلة السادسة جُوِّفَ الصلصال فصار كالفخار وبه الفتحة التي ستدخل منها الروح، يقول الله ﷻ: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾ [الرحمٰن: 14].

فكان إبليس يطوف بهذا الشيء المجوف.

إن هذه المراحل تنادي على الإنسان بأعلى صوتها قائلة «أنت ضعيف... لا تملك من الأمر شيئاً... بدايتك تراب وماء...».

انها قدرة اللّه الذي جعل التراب يتحرك ويتكلم وينتج ويخطط ويضرع...

آدم الآن جسد بلا روح وترك هكذا لمدة أربعين يوماً، يقول النبي ﷺ: «إن آدم ترك هكذا لمدة أربعين يوماً»...

ليظهر مدى ضعف هذا المخلوق، فلا حركة ولا حياة بالرغم من اكتمال الشكل.

لقد عرفَ نقطةَ ضعفك...!

يقول النبي ﷺ: **«لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه فجعل إبليس يطوف به فلما وجده أجوف عرف أنه خَلْق لا يتمالك»**.

وهذا الحديث رواه مسلم[1] ومعنى: **«خَلْق لا يتمالك»** أي لا يستطيع أن يملك نفسه عند الشهوة. وبالتالي سيسهل للشيطان أن يوقعه في المحظور... أرأيتم كيف يدرس الشيطان ويحلل هذا المخلوق... إنه يخطط لا يتصرف بهوجائية، وهو الآن عرف نقطة ضعفك: **«لا يتمالك»** ولكن الله سبحانه وتعالى لم يترك الأمر هكذا بل وضع له حلاً جذرياً، يقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: 42].

انه العدو الوحيد والألد... اللجوء الى الله والاعتصام به خير الحلول... الاستعانة بالله وطلب النجاة خير الحلول.

أيها الإنسان عد بذاكرتك سريعاً وتذكر المراحل الستة واجب عن هذا السؤال، يقول الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: 1].

استحضر قلبك الآن...

تخيل الآن... آدم فخار أجوف عملاق ملقى في الجنة... بعد قليل سيحدث شيء عظيم يجب أن تستحضر قلبك كي تشعر بهذا الحدث الجلل، يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾ [الحجر: 29].

إنها النفخة السماوية... النفخة الربانية، لقد خلقت من أطهر عنصرين التراب والماء، خلقك الله بيديه الكريمتين ونفخ فيك من روحه.

اما شعرت بقيمتك الآن... انت لست شيئاً عادياً... ان لك خصوصية معينة...

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 6592).

انك ابن آدم، وآدم هو خليفة الله في أرضه... آدم هو الذي أسجد الله له الملائكة... أعرفت الآن من أنت؟

وأي تكريم هذا...؟!

ونعود للآية التي تتحدث عن ثلاثة تكريمات، يقول الله ﷻ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴿٢٩﴾﴾ [الحجر: 29] .

أظن أنك استمعت إلى التكريمات الثلاثة، فهي واضحة:

الأولى: سويته، أي خلقته في أحسن ما يكون.

الثاني: نفخت فيه من روحي.

الثالث: فقعوا له ساجدين.

أيكرّمك الله ويفضلك وأنت كما أنت!

لماذا لا تقبل على الله... هل أنت مُستغنٍ عن ربك؟

أيها الإنسان أين عقلك...؟ بل أين قلبك؟ فهو المسؤول عما وصلت اليه...

أتكون فيك هذه النفخة العلوية ولا تتخلق بأخلاق الأنبياء...؟

الك رب سواي!

إن لم تشعر مما سبق، فإني على يقين بأن الخير لن يفوتك وإن تأخر، فأنت طاهر الباطن، وطاهر الظاهر، أحسبك كذلك ولا أُزكّي على الله أحداً... والآن إني أخاطب فيك مضغة بغرض الإصلاح ليصلح الجسد كله...!

وإليك ما أقصد:

يقول الله ﷻ: «إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل وشرهم إليّ صاعد، أتودد إليهم برحمتي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر ما يكونون إليّ، أهل ذكري أهل مجالستي، فمن أراد أن يجالسني فليذكرني، أهل طاعتي أهل محبتي، أهل معصيتي لا أقنّطهم من رحمتي، إن تابوا

إلي فأنا حبيبهم، وإن أبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد، والسيئة عندي بمثلها وأعفو، وعزتي وجلالي لو استغفروني منها لغفرتها لهم، من أتاني منهم تائباً تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب أقول له أين تذهب ألك رب سواي».

اي قلب يسمع هذا ولا يتأثر..؟! اي عين تشعر بهذا ولا تدمع..؟! أما هزك السؤال: «ألك رب سواي؟!».

أما أثار عواطفك هذا الوصف: «فأنا حبيبهم». أما استثارتك هذه المغفرة «لو استغفروني منها لغفرتها لهم».

«هذه رغبتي بالمدبرين»

أوحى الله سبحانه وتعالى إلى داود عليه السلام وقال: «لو يعلم المدبرون عني شوقي لعودتهم ومحبتي لتوبتهم ورغبتي في إنابتهم لطاروا شوقاً إلي، يا داود هذه رغبتي بالمدبرين عني، فكيف تكون محبتي بالمقبلين عليّ».

عجيب أمر الكلمات... بل عجيب أمر القلم!

إنه لا يستطيع ترجمة ما بالقلب من شعور..

بل إن الكلمات لا تجد أحرفاً تعبر بها عن مكنونات النفس... ولكن يطمئننا أن علمه بالحال يغني عن المقال...!

ماذا دهاك...؟

ويقول الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**عبدي أخرجتك من العدم إلى الوجود أنشأت لك السمع والبصر والعقل والقلب، عبدي أسترك ولا تخشاني، عبدي أذكرك وتنساني، عبدي أستحي منك ولا تستحي مني، فمن أعظم مني جوداً وكرماً، من ذا الذي يقرع بابي فلا أفتح له، ومن ذا الذي يسألني فلا أعطيه، أبخيل أنا فيبخل عبدي عليّ**».

أيها القلب... ماذا دهاك... ألا تشعر بكلام ربك... ألا تستحيي وأنت تقرأ هذه الكلمات!

فلا يلومن إلا نفسه...

إنني ما زلت أستثير عاطفتكم فإن بداخلكم نفخة علوية... من حقها علينا أن تتزود بكلام الله ﷻ، يقول الله في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص الملك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيتها عليكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1].

ما أجملها من كلمة تسعد القلب السليم «يا عبادي» انه نداء من اللّه العظيم الى عبده الذليل.

نداء يوقظ القلوب النائمة... التي نامت طويلاً فلم يوقظها الا الوعيد: «فلا يلومن الا نفسه».

نقطة في غاية الأهمية...!

هناك ملاحظة جيدة في هذا الموضوع ـ خلق آدم ـ أن الله سبحانه وتعالى خلقنا من مادتين أما بقية المخلوقات جميعها فقد خلقت من مادة واحدة... فالإنسان هو المخلوق الوحيد العاقل الذي خلقه الله من مادتين، وهاتان المادتان هما الجسد ـ وهو الغلاف الخارجي ـ والروح وهي داخل هذا الجسد وقد علمنا أن هذا الجسد مخلوق من تراب الأرض أما الروح فمن نفخة علوية.

فاعلم أيها الإنسان أن فيك شيئاً يشدك إلى الأرض بمعانيها الترابية وفيك شيئاً آخر يرفعك إلى السماء.

---

(1) الترغيب 2/ 75.

فانتبه لهذا المعنى جيداً واعلم أن لكل مادة غذاءها، فغذاء الجسد هو الطعام والشراب والنكاح والرياضة . . . وغذاء الروح هو القرب من الله.

وبالتالي فلا بد من التوازن في تغذية هاتين المادتين، فأي خلل فيهما سيؤدي إلى الضرر بهذا الإنسان.

ان اسلامنا يحثّنا دائماً على الاعتدال والتوازن فلا نزد في شيء على حساب الآخر...

حتى يستقيم الحال ونكون عباداً ربانيين، علينا ان نعمل لدنيانا كأننا نعيش ابداً، ونعمل لآخرتنا كأننا سنموت غداً.

أيهما يمتطي الآخر...؟

سورة كاملة في القرآن توضح لنا خطورة من عاش لجسده، كلنا يحفظها إنها سورة التكاثر . . . يقول الله ﷻ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: 1 ـ 8].

ونعيش مع السورة لحظات قصيرة . . .

فالمقصود بالتكاثر أشياء كثيرة تغذي الجسد، والنهي هنا ليس عن التكاثر وإنما عن اللهو، أي النتيجة التي أدت إلى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾، فالسورة تتوعد الذي عاش للجسد، ولم يجعل هناك توازناً بين الجسد والروح. فالأصل إشباع الروح ومنها يسعد الجسد ويتغذى.

تخيَّل مثلاً أن رجلاً جاء لزيارتك وكان يمتطي فرساً فاستقبلته أنت ورحبت به وأدخلته الإسطبل وأتيت بالفرس إلى غرفة الضيافة . . . فهل هذا يصح . . . أما علمت أن الروح هي التي تمتطي الجسد!.

علموها لصغاركم...

ونعود لاستكمال خلق آدم عليه السلام، وأول ما دخلت الروح، دخلت من الرأس فعطس آدم فقالت الملائكة: قل: الحمد لله. فقال: الحمد لله، فقال الله سبحانه وتعالى: رحمك ربك.

فكانت هذه أول ما سمع آدم: «رحمك ربك» وهذا الحديث رواه الترمذي.

رحمة الله تغمرنا... رحمة الله قريبة جداً منا ولكننا نحن الذين نبعد عنها.

أحبتي علموها لصغاركم وأقاربكم... علموها لكل من تعرفونه... إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله، وليقل له من سمعه: يرحمكم الله، فيرد عليه العاطس وليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم. وهذا مِصْدَاقٌ لحديث النبي ﷺ: **«حق المسلم على المسلم ست...»** منها: **«إذا عطس فحمد الله فَشَمِّتْه»**[1].

في خير يوم طلعت عليه الشمس

ترى في أي يوم كان خلق آدم؟ يقول النبي ﷺ: **«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه نزل إلى الأرض وفيه مات وفيه تقوم الساعة»**[2]. رواه مسلم.

هذا هو فضل الجمعة عند الله ﷻ فهل تقدر هذا الفضل...!

هل تحافظ على سنن الجمعة؟ إن أردت المحافظة عليها فعليك أخي الحبيب بالآتي:

1 ـ الغُسل.

2 ـ التطيب.

3 ـ الصلاة على النبي.

4 ـ قراءة سورة الكهف.

5 ـ التبكير لصلاة الجمعة.

6 ـ ارتداء أجمل الثياب.

7 ـ السواك.

---

(1) أخرجه مسلم في (الحديث: 5616)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 372).

(2) أخرجه مسلم في (الحديث: 1973)، وأخرجه أبو داود في (الحديث: 1046)، وأخرجه الترمذي في (الحديث: 491)، و (الحديث: 488)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: 2/ 401).

ويقول النبي ﷺ في حديث آخر رواه مسلم: «**خلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل**»[1].

وهذه الساعة يقول عنها النبي ﷺ: «**في يوم الجمعة ساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله ﷻ حاجة إلا أعطاه إياها**»[2]. وقال بعض العلماء إنها تلك الساعة التي خلق فيها آدم.

موقف يستحق الذكر...!

إنه موقف ابن مسعود... دخل يوماً لصلاة الجمعة في المسجد وقد اعتاد على الذهاب مبكراً فوجد اثنين بالمسجد فحزن لتأخيره حزناً شديداً وظل يضرب على فخذه ويقول: ثالث ثلاثة يا ابن مسعود... وظل يبكّتُ نفسه حتى قال: ما ثالث ثلاثة من الله ببعيد.

لأنه أعلم منا من أنفسنا

يقول النبي ﷺ في وصف سيدنا آدم: «**خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً في السماء فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً، فلا زال الخلق تتناقص بعده**»[3].

يا الله... ستون ذراعاً... إنه عملاق كيف سيدخل الجنة على هذه الصورة ترى لماذا تناقص الخلق...؟

... رحمة الله بنا أن قلل حجمنا فكلما زاد العلم قلل حجمنا حتى لا نطغى ونتكبر فهو أعلم بنا من أنفسنا.

لصيانة العقل

وبالرجوع إلى الحديث نجد النبي ﷺ يقول: «**خلق الله آدم على صورته**» أي الصورة

---

(1) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 6400)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6985).

(2) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 1970)، وأخرجه **أبو داود** في (الحديث: 1046)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 491)، وأخرجه **النسائي** في (الحديث: 1431).

(3) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 3326)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 7092).

التي نزل بها إلى الأرض وهي نفس الصورة التي كان بها في الجنة، وسبحان الله ندرك الآن أهمية قول النبي ﷺ ـ بعد ما ظهر من يقول ـ : إن الإنسان أصله قرد. فهذا أبلغ رد عليهم... وما ينطق عن الهوى.

ثم قال الله تبارك وتعالى لآدم اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة، واستمع تحيتهم لك فإنها تحيتك وتحية ذريتك من بعدك، فذهب آدم إلى الملائكة فقال: السلام عليكم. فقالوا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. وهذا الحديث يعلمنا أن لغة أهل الجنة، هي اللغة العربية، وأول وأهم ما نتعلّمه... أن آدم أول ما تعامل وتكلم كان بالسلام.

يقول النبي ﷺ: **«لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا... ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»**[1].

إياك أن تلقي السلام بغلظة أو وأنت متجهم في وجوه الناس، بل كن باسم المحيا كما كان النبي ﷺ، كن سلاماً قولاً وعملاً.

ومن هنا نشأت الفطرة

يقول النبي ﷺ: **«لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقطت من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة»**[2]. وقد أثبت هذا الحديث أن المني يخرج من عظام الظهر يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف: 172].

إنها وقفة وشهادة يوم القيامة إنها الفطرة الموجودة لدى كل مسلم يؤمن بالله، ويستعد للمساءلة أمامه سبحانه وتعالى.

يقول النبي ﷺ[3]: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة وأبواه ينصرانه أو يهودانه أو يمجسانه»**.

---

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 192)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 2510)، وأخرجه **ابن ماجه** في (الحديث: 68).

(2) أخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3076).

(3) أخرجه **البخاري** في (الحديث: 1359)، وأخرجه **مسلم** في (الحديث: 6697)، وأخرجه الإمام **أحمد** في «مسنده» (الحديث: 2/ 346).

أخي الحبيب إن فطرتك سليمة، فلماذا تجنح بها إلى الانحراف؟ لماذا تعصي الله...؟ إياك أن تنكس الفطرة.

يقول النبي ﷺ: **«يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم. قال: فيقول الله ﷻ: قد طلب منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بي شيئاً»**.

إنها الأمانة... المسؤولية... الشهادة... كان هذا خلق آدم عليه السلام.

فهلا تذكرت مقصدنا الأساسي من قصة خلق آدم عليه السلام...؟

obeikandl.com